

## مرآة الغرب

## الانتفاضة مُستمرّة في إسبانيا بعد اعتقال هُغني الراب الشيوعيّ

## بابلو هاسيك... أوروبا القديمة ترتعد من ثورة آتية

حظّم شبان غاضبون في كاتالونيا وأجزاء أخرى من إسبانيا نواضد المتاجر، وأشعلوا النار في سيارات متوقّفة، ورموا الزجاجات على رجال الشرطة لليوم السادس على التوالي في ما يعدّ هذا التحوّك إلى انتفاضة واسعة ضدّ الحكم الملكي الفاشي التوجّهات في مدريد. الشرارة الأولى أشعلها اعتقال بابلو هاسيك هُغني «الراب» الشيوعي، بنهم تتعلّق بإطالة اللسان على الذات الملكيّة والدولة في كلمات اغانيه كما على تويتر. وقد اختلفت التحليلات بشأن سرّ حجم هذا الانتفاخ الشعبي ومآلاته. لكنّ أغلب المراقبين متفقون على أنّ ثقة احتفاناً بتراكم في صدور الاجيال الجديدة في إسبانيا وأوروبا المتأمركة منذ عام 1945، يضرب متسارعا من لحظة التحوّل إلى حالة ثوريّة قد تؤدّي إلى سقوط نموذج الدولة القوميّة القديم

**ساميد محمّد**  
«ثقة شيخ يحوم في أوروبا، مقدّمه البيان الشيوعي - 1848»  
أظهرت لقطات بثّتها المحطات التلفزيونيّة من برشلونة عاصمة إقليم كاتالونيا الإسباني استمرار أعمال عنف في المدينة كان قد أطلقها اعتقال هُغني راب معروف يوم الثلاثاء من قلب جامعة اعتصم بها مع ثلّة من انصاره بعد مواجهة استمرت 24 ساعة، والقي القبض على بابلو هاسيل (1988) بنهم تتعلّق بإطالة اللسان على الذات للملكيّة ونمّ مؤسسات الدولة وتمجيد العنف (الإرهابي بحسب وصف السلطات)، وتعرّضت نوافذ المتاجر في الشوارع الرئيسيّة للتخطيم ونهبت محتوياتها الثمينة، وأشعلت الحرائق في جميع أنحاء العاصمة الكاتالونيّة فيما

## قبل هاسيك، أُجبر فالتونيتش هُغني الراب اليساري المؤيد لاستقلال كاتالونيا عن مملكة إسبانيا، على العيش في المنفى في بلجيكا

انخرط شبان غاضبون في معارك كز وفرّ مع رجال الشرطة وقوات مكافحة الشغب التي تلقّت أوامراً من الحجارة في كلّ نقاط الاشتباك (تجاوز عددها المئة)، وأبلغ أيضاً عن اقتحام مكاتب البنوك في المدينة، واصطدامات بعد مباراة الدوري الإسباني، فيما تناشرت مستوحيات الغمامة المشتعلة في معظم الأحياء واستُعملت كمتاريس لإغلاق الطرقات. مع ذلك، ما زال العنف مقتصرًا إلى الآن على مجاميع صغيرة نسبياً مقارنةً بالأعداد الكبيرة من المحتجين الذين تدفقوا إلى الشوارع، ونظّمت مسيرات حاشدة،

لكنّ الأغلبية كانت تنسحب بهدوء بعد ظهور رجال الشرطة المدجّجين بالأسلحة والهرارات. وقد عُلم بأنّ أجهزة الأمن الإسباني اعتقلت المستشفيات والعيادات المحليّة، كما أورد بيان لشرطة المدينة عن وقوع إطلاقها اعتقال هُغني راب معروف مولوتوف على مراكزها. وناشد رئيس بلدية برشلونة سكان المدينة التزام الهدوء، ونقل عنه قوله: «إنّ الدفاع عن حرية التعبير لا يبرر في أيّ حال تدمير الممتلكات، وتخوين مواطنينا، وإبذاء الشركات التي تضررت بالفعل من الأزمة (كوفيد - 19)».

وقد امتدّت الاحتجاجات إلى العاصمة مدريد، حيث استندعت الشرطة تعزيزات إضافية لتأمين الشوارع التجاريّة، كما عدد من المدن الأخرى في جميع أنحاء المملكة ومنها فالنسيا ومابوركا. لكنّ مشاهد العنف في بعضها كانت بتشكّل عام أقلّ حدّةً من تلك التي شهدتها إقليم كاتالونيا.

ولم يفلح تعهّد الحكومة الإسبانية عشية اعتقال هاسيل صباح الثلاثاء الماضي بأنها ستعمل على إلغاء أحكام السجن على الجرائم المتعلقة بـ «حرية التعبير» في تهدئة حواظ أنصار الموسيقى الشيوعي المعروف نذّر فيها هاسيل بوحشية الشرطة ضدّ المهاجرين، ووصفها بالذاتة وبمركّبيها بالنازيين لأنها «بدل أن تحمي الأسر الفقيرة، تلقّي بها إلى قارعة الطريق»، كما وصف خوان كارلوس - الملك المتقاعد - بـ «رجل العصابات الذي يتأمر مع آل سعود مؤلّي داعش»، وسخر من ابنه ملك إسبانيا الحالي، فيليب السادس بقوله: «دعونا نقاتل حتى يتم طرد فيليب يوريون وسلالته من الطفيليات أعداء الشعب» و«الآلاف من المسّئين يرتجفون من البرد ومتردّون في الطرقات بينما يعظنا الملك من قصره الوثنيّر». ووصم



بواجه بابلو هاسيك احكاما بالسجن بنهم تتعلّق بـ «الإساءة إلى الذات الملكيّة»، و«ذمّ مؤسسات الدولة»، و«تمجيد الإرهاب»



64 تمريده نذّر فيها هاسيك بوحشية الشرطة ضدّ المهاجرين، ووصف جوان كارلوس بـ «رجل العصابات الذي يتأمر مع آل سعود مؤلّي داعش»

على انشطته الفاسدة، ويتواطؤ من عناصر فاشيين في الحكومة الإسبانية، والنظام القضائي، القضاء الإسباني بمبولة الرجعية، وهو يقم اليوم في دبي بالإمارات العربيّة المتّحدة، عاصمة الفساد المعولم الإقليميّة في الشرق الأوسط، بما في ذلك 80 جريمة قتل أو محاولة قتل، وعمليات اختطاف مختلفة. كما لحظت المحكمة إصداره أغنية بعنوان «الموت لليوريون» في إيذاءة لا تخفي إلى حكّام البلاد، والمخارفة أن هذه التغريدات والأغاني تعبر عن واقع فساد والاسئلة التي نضّبه الفاشيست ملوكا على البلاد بعد إسقاط الجمهوريّة حرباً في عام 1939. وقد فرّ خوان كارلوس الملك السابق (أغسطس) 2020 بعدما تراكمت الأدلة الدامغة

كراهية»، و«تمجيد الإرهاب»، وتسنّد هذه الاتهامات إلى سلسلة التغريدات نشرها هاسيل خلال السنوات القليلة الماضية على تويتر. وكان المدعي العام الملكيّ قد قدّم للمحكمة نسخاً من 64 تغريدة نذّر فيها هاسيل بوحشية الشرطة ضدّ المهاجرين، ووصفها بالذاتة وبمركّبيها بالنازيين لأنها «بدل أن تحمي الأسر الفقيرة، تلقّي بها إلى قارعة الطريق»، كما وصف خوان كارلوس - الملك المتقاعد - بـ «رجل العصابات الذي يتأمر مع آل سعود مؤلّي داعش»، وسخر من ابنه ملك إسبانيا الحالي، فيليب السادس بقوله: «دعونا نقاتل حتى يتم طرد فيليب يوريون وسلالته من الطفيليات أعداء الشعب» و«الآلاف من المسّئين يرتجفون من البرد ومتردّون في الطرقات بينما يعظنا الملك من قصره الوثنيّر». ووصم

احتقاناً بتراكم في صدور الاجيال الجديدة ليس في إسبانيا فقط، وإنّما عبر أوروبا المتأمركة كلها منذ عام 1945، بعدما فشلت الأنظمة الليبراليّة القائمة بهيّاكلها النخبويّة اليمينيّة الفاسدة، في تقديم حلول مستدامة للانكماش الاقتصادي وتراجع مستويات عيش الطبقة العاملة وتردّي الخدمات العامّة لمصلحة نخبة ثريّة قليلة تهيم على مقدرات القارة وتعيث بها. وقد تصاعد هذا الاحتقان بشكل ملموس بعد الأزمة الماليّة العالميّة في عام 2008 وتقمّضت الحكومات الغربيّة بأموال دافعي الضرائب لإنقاذ الطغمة الماليّة العابثة. وفي ظل انقراض اليسار، انعكس ذلك تصويتنا كثيفاً للأحزاب الفاشيّة الغاضبة التي فشلت بدورها في إنجاز تقدّم فعلي باتجاه حلّ المضاعب الخبويّة للنظام الرأسمالي، قبل أن يصل الغضب إلى منتهاه بعد الإدارة الإجراميّة لوباء كوفيد - 19 وما تسنّمت به من أضرار فادحة للحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والتعليميّة في مختلف أرجاء القارة، وتوسّع الفجوة تالياً في الدخول بين من يملكون ومن لا يملكون، وفقدان الأمل بعد أفضل للعغال الاعتياديين وللاجيال التي وُلدت بعد عام 2000.

إنّ تصلّب أجهزة الرقابة وتصاعد القمع الذي شهدهناه في فرنسا وهولندا وبلجيكا وبولندا وهنغاريا وفي إسبانيا اليوم، وقريباً في إيطاليا ورثما البرتغال واستكتلندا - وقبلها في التامر لإسقاط جبريمي كورين في بريطانيا - دلالة أكيدة على هلع يستولي على قلوب الطبقات البرجوازيّة الحاكمة القديمة عبر القارة من تفخّر الصراع الطبقي الذي لم يعد ممكناً إدارته كما طوال النصف الثاني من القرن العشرين عبر التخوف من العدو الشيوعي في موسكو.

لقد عبّرت التكنولوجيا الحديثة خلال السنوات العشرين الماضيّة من أنماط الإنتاج في أوروبا فيما بقيت علاقات الإنتاج والهيمنة على حالها، كما نظّمها الأميريكيون والخزينة العاتة الإسبانية. وليس اعتقال هاسيل هو الهجوم الأول من نوعه ضدّ حرية التعبير في إسبانيا في السنوات الأخيرة. إذ يعيش فالتونيتش هُغني الراب اليساري - المؤيد لاستقلال كاتالونيا عن مملكة إسبانيا - في المنفى في بلجيكا بعدما حكمت عليه السلطات الإسبانية بالسجن لأكثر من ثلاث سنوات. وتخصّر سرّ هذا الانتفاخ الشعبي غير المتوقّع ومآلاته، لكنّ أغلب المراقبين متفقون على أنّ ثمة

## وجهة نظر

## دفاعاً عن دريد لحام: زلّة لسان لا أكثر!

حسام عبد الكريم\*

اشتعلت مواقع التواصل الاجتماعيّ العربيّة بخبر عن الفنان العربيّ الكبير دريد لحام عنوانه العريض: «دريد لحام يقول: «التطبيع قادم ولستُ ضدّه»! وامتلات المواقع بتعليقات مننّدة بموقف دريد لحام، بعضها وصل إلى حدّ الشتائم، متهمًا إياه بالانضمام إلى جوقّة التطبيع العربيّ الأخيرة وبقيّة الفنانين من مهزّجي السلام».

هل حقاً انضمّ دريد لحام، صاحب المواقف القوميّة والعروبيّة المعروفة، إلى «حفلة السلام» العربيّة؟ لنضع الأمر في سياقه. القصة كلّها كانت من مقابلة (عن بعد) أجرتها القناة العربيّة لشبكة «سي. أن. أن» الأميركيّة (CNNArabic) مع الفنان الكبير امتدّت على 35 دقيقة تنوّعت فيها مواضيع الحوار، وكان واضحاً أنّ دريد لحام يجيب بصورة ارتجالية بدون ترتيب ولا إعداد مسبق. وعند الدقيقة الـ 8 من المقابلة، أجاب دريد على سؤال طرحه المذيع بشأن التطبيع واتفاقيات السلام العربيّة الإسرائيليّة الأخيرة، قائلاً بالحرّف: «اتفاقيات السلام، أو ما يُسمّى التطبيع، قادم، وأنا مش ضدّه». هذا هو المقطع الذي أثار الضجة.

وقد تم اقتطاعه من المقابلة كلها واستخدامه في الهجوم على دريد لحام وكيل التهم له. ولكن الموضوعية تقتضي القول بأنّ دريد لحام أكمل كلامه واضعاً شروطاً تكاد تكون تعجيزية من أجل قبول السلام والتطبيع، في ما يلي النصّ الكامل لكلام دريد لحام وأجابته على السؤال المتعلّق بالتطبيع:

«اتفاقيات السلام، أو ما يُسمّى التطبيع، هو قادم، وأنا مش ضدّه على شرط أن يكون حسب المبادرة العربيّة التي طرحت سنة 2002

في القمة العربيّة ببيروت وشروطها: أن تكون هناك دولة فلسطينيّة عاصمتها القدس، دولة قابلة للحياة، أن يُعطيّ الفلسطينيون حقّ العودة. أن تعيد إسرائيل الأراضي العربيّة المحتلة إلى دولها. لما تتنفذ هذه الشروط ما في مانع من اتفاقيات السلام».

إذن واضح تماماً من سياق الكلام أنّ لحام - ولا ننس أنّه يحاور وسيلة إعلام أميركيّة كبرى - يلجأ إلى الأسلوب نفسه الذي كان الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد يستخدمه، ومن قبله الرئيس جمال عبد الناصر، في رفض السلام والتطبيع مع الكيان الصهيوني، ولكن في الوقت عينه بدون الظهور أمام العالم بمظهر المعادي لفكرة السلام من حيث المبدأ (فكرة «السلام» الجزرة والمطلقة هي قيمة إنسانية سامية يسعى لها كل البشر) عن طريق وضع سلسلة شروط للسلام، محقّة طبيعاً ويمكن للعالم تفهّمها وقبولها، ولكنها تعجيزية وغير عمليّة ولا قابلة للتحقيق مع هذه الدولة الصهيونيّة العنصرية التي اسمها «إسرائيل». فهل يمكن لإسرائيل أن تقبل بعودة 8 ملايين فلسطيني؟! بالتأكيد لا. لأنّ ذلك يعني زوالها كدولة يهودية وانتهاء

الحلم الصهيوني. وهل يمكن لإسرائيل أن تنسحب من القدس وتعيدها للفلسطينيين ليجعلوها عاصمة لهم؟! الجواب أيضاً بالنفي، لأنّ «أورشليم» تمثل رمزيّة الحلم الصهيوني والأساس الذي ارتكز إليه مشروع الدولة اليهودية. فهذه الشروط التي يضعها دريد لحام إنّما هي من باب «رفع العتب»، فلا هي ستتحقق ولا هو سيطبّع كأنه يقول لمذيع «سي. أن. أن»: دعهم ينفذونها ثم أرجع إليّ وطلبيني حينها بالسلام والتطبيع! نقطة أخرى تتعلّق بإشارة دريد لحام (المقصودة) إلى القمة العربيّة سنة 2002 وهي التي ترأسها الرئيس اللبناني (المقاوم) إميل لحود. ونحن نذكر يومها الخلافات التي نشبت بين القادة العرب بسبب إصرار لحود على إدراج نص صريح في البيان الختامي يذكر «رفض كل أشكال التوطن»، بالإضافة إلى حلّ قضية اللاجئين الفلسطينيين على أساس القرار الدولي 194 (أي: حقّ العودة)، وهو ما حصل بالفعل بحكم رئاسة لحود للقمة. بل إنّ دريد لحام لم يتوقّف عند ما ذكرناه، بل تابع قائلاً: «بدي أسأل لماذا اتفاقية سلام بين دولتين يفصل بينهما 5 أو 3 آلاف كيلومتر؟ ما هو الخطر المتبادل بين هاتين الدولتين لحتى تبجيّ تعمل اتفاقية سلام مع دولة ليس لك حدود معها أصلاً ويعيد عنها آلاف الكيلومترات؟! أنا يتعبها لي أنّ المسألة لعبة دولية كبيرة لتفقيت العالم العربي». وتابع كلامه عن خطوات التطبيع: «هذه الخطوات كثير بكيّر عليها. كان ممكن تكون، برجع بأكّد، حسب المبادرة العربيّة سنة 2002...». وأعاد ذكر الشروط مرة أخرى.

وهكذا نرى أنّ دريد لحام - خلافاً لما يقال عنه على وسائل التواصل - لم يكن في وارد تأييد التطبيع واتفاقيات السلام الأخيرة، بل على العكس تماماً كان يعارضها وينتقدھا باعتبارھا في غير أوانھا، ولا تتزّم بالشروط المطلوب من العدو تنفيذها قبل الوصول إلى مرحلة السلام معه.

وإنّ يطبّع ولا حتى هو مع التطبيع! ومن الظلم الشديد، بل التافهة، وضعه في خانة داعمي التطبيع العربيّ المجاني والرخيص الذي رأيناه أخيراً. كلّ الذنب الذي ارتكبه دريد لحام هو سوء تعبير ناتج عن الارتجال، حين استقبل جوابه بعبارة «التطبيع قادم ولست ضدّه» بينما كان يقصد شيئاً آخر تماماً (شرحه ووضّحه بعدها مباشرة)، لولا تلك الرّلة اللسانية لكان كلامه كله لا غبار عليه.

لم يطبّع صاحب «ضيعة تشرين» ولم يبرّز «إسرائيل» ولم يجتمع بالصهاينة ولم يرقص معهم ولم يرفع أعلامهم. ولا تحدّث صاحب «كاسك يا وطن» عن «التعاون العلمي والاقتصادي» مع «إسرائيل»، ولا قام صاحب «غربة» بالترويج للفرالة والافوكادو «الإسرائيلي»... ولن يفعل.

\* كاتب وباحث من الأردن

